القلب السليم

الحمد لله الذي قدَّر فهدى، وأخرج المرعى، فجعله غثاءً أحوى, فله الحمد في الآخرة والأولى, الحمد لله القائل في كتابه الكريم: {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}1_, والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -، أما بعد:

من المعلوم لدى العقلاء أن القلوب هي محل نظر الرب - تبارك وتعالى -, وأنه الإنسان لا ينتفع بشيء يوم القيامة مثلما ينتفع بالقلب السليم, فما هو القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله - تبارك وتعالى - به؟

القلب السليم هو:

1. **القلب الذي خلصت عبوديته لله - تبارك وتعالى - إرادة, ومحبة, وتوكلاً, وإنابة, وإخباتاً, وخشية, ورجاء, وخلص عمله لله - تبارك وتعالى -, قال الله - تعالى -: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}2_, فإن أحب أحب لله، وإن أبغض أبغض لله, وإن أعطى أعطى لله - تبارك وتعالى - وإن منع منع لله, ولا يكفي هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل ما عدا منهج الله - تبارك وتعالى -، ومنهج رسوله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم -.**

2. **القلب الذي يتلقى أوامر الله - تبارك وتعالى - بمنتهى التسليم والرضا, ويصير وجلاً إذا ذكر به - تبارك وتعالى -, يزداد إيمانه إذا سمع آيات الله - تبارك وتعالى - تتلى قال - تعالى -: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}3.**

. **القلب الخالي من الشرك بالله - تبارك وتعالى -, المسّلم له اعتقاداً, المؤمن بربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته, فهو قلب طاهر من أدناس الشرك بجميع أنواعه وصوره مهما كانت.**

4. **القلب المؤمن بأسماء الله - تبارك وتعالى - وصفاته العلى, المنزه لله - تعالى - عن كل النقائص, المثبت له ما أثبته لنفسه، وأثبته له - صلى الله عليه وسلم -, فهو قلب لا ينفي صفات الله - تعالى -, ولا يعطلها, ولا يؤولها, واقفاً عند قول الله - تبارك وتعالى -: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}**

4.

5. قلب مخلص لله - تبارك وتعالى -, ومع ذا فهو خائف وجل مشفق من تقصيره في حق ربه - تبارك وتعالى -, خاشع من عظمة الله - تعالى -, يرى أن ما قدم تجاه مولاه - تبارك وتعالى - قليل, فيضل يعمل ويسابق تجاه مولاه حتى يفوز برضاه قال الله: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}5, فهو قلب لا يزال يضرب على صاحبه حتى يجعله منيباً إلى الله - تبارك وتعالى -, ويجعله بنفس حيويته وجديته، وعبوديته وإيمانه, وهو قول النبي - صلى الله عليه وسلم - كما في حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى أوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب))6.

. هو قلب آثر الآخرة على الحياة الدنيا, وهبَّ لنصرة دينه، ورفع رايته, لا يقر له قرار إلا يوم يرى كلمة التوحيد عالية خفاقة, فيبذل نفسه مجاهداً في سبيل الله - تبارك وتعالى -, ويقدم روحه رخيصة في سبيل الله - تبارك وتعالى -.

. هو قلب طموح, توَّاق إلى ما عند الله - تبارك وتعالى -, لا يقنع بمكانه من العلم والبذل, يظل طامعاً فيما عند الله, لا ينتهي طموحه إلا في جنات النعيم.

8. وهو قلب صحيح, يبرأ من عيوب القلوب وأمراضها، فلا يحمل غلاً لأحدٍ من المسلمين، ولا حقداً، ولا حسداً، ولا غشاً, ولا يصل إليه عجب, ولا يتطرق إليه كبر, فهو منكسر بين يدي ربه - تبارك وتعالى - متذللاً له, قد برأ من كل الشبهات التي تخالف خبر الله - تبارك وتعالى - في كتابه، وعلى لسان رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم -, ومن كل الشهوات التي تخالف أمر الله - تبارك وتعالى - وأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم -, يحذر من تقلب القلوب، ويحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربه - تبارك وتعالى - قال الله في كتابه: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ}7 قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - تعليقاً على قول الله - تعالى -: {لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ

فَتُخْبِتَ لَـهُ قُلُـوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَـادِ الَّذِينَ آمَنُـوا إِلَى صِـرَاطٍ مُّسْـتَقِيمٍ}8 "فجعـل اللـه - سـبحانه - القلـوب ثلاثة: قلـبين مفتونين، وقلب نـاجي, فالمفتونـان القلب الـذي فيـه مـرض، والقلب القاسي, والناجي: القلب المـؤمن المخبت لربـه، وهـو المطمئن إليه الخاضع له، المستسلم المنقاد"9 أ.هـ، وقال ابن القيم - رحمه الله -: " والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغل، والحقد والحسد، والشح والكبر، وحب الـدنيا والرياسة, فسلم من كل آفة تبعده من الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره, ومن كل شهوة تعارض أمره, وسلم من كل إرادة تـزاحم مـراده, وسـلم من كـل قـاطع يقطعـه عن الله, فهـذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا, وفي جنـة في الـبرزخ, وفي جنة يـوم المعـاد، ولا يتم لـه سـلامته مطلقـاً حـتى يسـلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد, وبدعـة تخـالف السـنة, وشـهوة تخـالف الأمر, وغفلـة تنـاقض الـذكر, وهـوى ينـاقض التجريد, والإخلاص يعم، وهـذه الخمسـة حجب عن الله, وتحت كل واحد منها أنواع كثيرة تتضمن أفـراد الأشـخاص لا تحصـر، ولذلك اشتدت حاجة العبد بـل ضـرورته إلى أن يسـأل اللـه أن يهديه الصراط المستقيم."10

فعلى المسلم أن يحرص كل الحرص على نقـاء قلبـه وصـفائه, وإن كثيراً من الناس تجده يحرص على طهارة ثوبه ونقاوته من الأوساخ لكنه لا يحافـظ على طهـارة قلبـه مـع أنـه محـل نظـر اللـه - تبـارك وتعالى -، فلو أراد إنسان أن يقابل ملـك من ملـوك الأرض فسـوف يلبس أحسـن الثيـاب، ويتطيب بأحسـن الطيب؛ مـع أنـه بشـر مثله, فكيف بالله - تعالى -, فعليـك أخي في اللـه أن تحـرص على طهـارة قلبك حيث هو محـل نظـر اللـه - تبـارك وتعـالى - فعن أبي هريـرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليـه وسـلم -: ((إن اللـه لا ينظـر إلى صـوركم وأمـوالكم، ولكن ينظـر إلى قلـوبكم وأعمالكم))11.

نسأل الله - تبارك وتعالى - أن يجعل قلوبنا سليمة، من الشرك, وأن يتقبل منا إنـه على مـا يشـاء قـدير، ونسـأله أن يعفـو عنا, ويـدخلنا الجنة مع الأبرار؛ والحمد لله رب العالمين، وصلى اللـه وسـلم على نبينا محمد وآله الأطهار وصحابته الكرام رضوان الله عليهم جميعاً.

---

1 سورة الشعراء (88- 89).

2 سورة الزمر (3).

3 سورة التوبة (124).

4 سورة الشورى (11).

5 سورة العنكبوت (69).

6 رواه البخاري برقم (52)؛ ومسلم برقم (1599).

7 سورة الزمر (9).

8 (54-53) **سورة الحج.**
9 (18) **إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان.**
10 (1/84) **الجواب الكافي.**
11 (2564) **رواه مسلم برقم.**